

أعلام فرنسية أسهمت في خدمة ودراسة الجنوب المغربي الأطلس الصغير الغربي نموذجا

محمد ارجدال

طالب باحث في سلك الدكتوراه،

جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير

تعتبر العلمية¹ مصدرا هاما للبحث في ثقافة وذاكرة الشعوب، لما لها من تأثير وتأثر بغيرها من الثقافات والحضارات. وقد احتفظ الأرشيف الكولونيالي² بأسماء أعلام فرنسية وشمت ذاكرة الأطلس الصغير الغربي، أعلام بشرية وظفت من طرف إدارة الحماية الفرنسية لبسط نفوذها على المنطقة والحفاظ على النظام والقضاء على المناوئين، فتجاوزت مهامها العسكرية إلى الاندماج والتعايش مع الأهالي ودراسة لغتهم وعاداتهم وأعرافهم، والمساهمة في تنمية المنطقة، وبناء مجتمعاتها القروية وإخراجها من العزلة. أعلام بشرية فرنسية مازالت الذاكرة الجماعية بهذه المناطق تحتفظ بأسمائها، لما قامت به من عمل في حفظ ذاكرة الهامش وتوثيق جانب مهم من تراثه، وتكوين العنصر البشري وتوعيته، وتأهيل البنية التحتية المحلية، غير أن البحث العلمي الأكاديمي أهمل هذه الفئة من الأعلام فلا نكاد نعرف عنهم إلا النزر القليل.

1 - الإنسان والمجال

عينت إدارة الحماية ضباطا للشؤون الأهلية بمناطق الجنوب، أولوا الأهمية لمناطق حكمهم، فشقوا الطرق، وفتحوا المدارس والمستشفيات، وعلموا أبناء الأهالي وكونوهم، نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر الأعلام التالية:

¹ - العلمية (onomastique)، أي العلم الدارس للأعلام، والذي ينقسم إلى فرعين كبيرين هما : العلمية البشرية (anthroponymie) والعلمية المكانية (toponymie) والمعروفة أيضا بالأعلام الجغرافية (أحمد الهاشمي، 2002، صفحة 19).

² - رصيد وثائق مركز الدراسات العليا حول إفريقيا واسيا، أرشيف المغرب، يناير 2021.

• اوجين ادرين ميكل (1913-1955)

اسمه اوجين ادرين ميكل Eugène Adrien Miquel ويعرف عند الأهالي بـ "بوامار" أو "بولحيا"، ضابط تخرج من مدرسة سان سين الحربية سنة 1934³ والتحق بالمصالح الخصوصية بالمغرب سنة 1939 حيث تفرغ في الخدمة، فعين بمركز بويكارن برتبة ملازم، ثم عاد إلى الجبهة سنة 1940 للمشاركة في الحرب العالمية الثانية على رأس جنود مغاربة من رماة ورجال الكوم، وترقى في الجندية وصار قبطانا فعين ضابطا للشؤون الأهلية وحاكما لبويكارن سنة 1944 ومكث بها إلى سنة 1952⁴.

مازال سكان المنطقة يذكرون الأعمال التحديثية الكبرى التي أشرف على انطلاقتها. فقد أحدث ضيعات فلاحية نموذجية على طول منطقة نفوذه في كل من بلدات تكانت وبويكارن وتيمولاي وافران، وبمختلف ملحقاتها، بما في ذلك حظائر لتربية الماشية، كان يحرص على الإشراف شخصيا على تلقيحها وتحسين النسل والاهتمام بالطب البيطري. كما قام بإصلاح الأراضي الزراعية حيث أعد وجهاز العديد من مصادر المياه، شملت إصلاح العيون والسواقي وشق طرقات بالبساتين لتسهيل الولوج إليها، كما أولى العناية للفلاحة المصغرة وللقطاع الغابوي، فرد الاعتبار لشجرة الأركان وغرس الصبار، ثم أشرف على بناء العديد من الخزانات لمياه الأمطار بالمناطق الجبلية والمعروفة محليا بـ "يفرضن" بكل فرقة وقبيلة.

ولتجويد وتثمين المنتجات الفلاحية قام اوجين ادرين ميكل بفتح فروع لتعليم النشاط المهني الفلاحي بشكل عصري وتشجيع أبناء المنطقة للانخراط والمشاركة في البرامج التكوينية والتدريبية المعتمدة. وفي هذا الإطار أنشأ مدرسة حديثة انطلق العمل بها سنة 1947 تحت اسم "مدرسة الذكور المسلمين"، أسندت إدارتها للسيد "جون مولارضي" 1947-1950 ثم للسيد "جون تاردي"، وذلك ضمن النظام التعليمي الذي تشرف عليه إدارة الحماية الفرنسية في المغرب، والذي يشمل نظاما للتكوين والتدريب المهني، يتضمن بالأساس شعبتين هما الشعبة الفلاحية وشعبة الأشغال اليدوية، تتضمن جميع الحرف من نجارة وبناء وصياغة وحدادة وغيرها، قصد إعداد يد عاملة شابة مؤهلة للاشتغال في المشاريع التي واكبت عملية تحديث البلاد التي باشرتها فرنسا في زمن ازدادت فيه الحاجة لليد العاملة بعد الحرب العالمية الثانية.

³ ولد اوجين ادرين ميكل يوم 29 ماي 1913، من أسرة خدمت في الجندية، فأحد أعمامه برتبة جنرال رئيسا لناحية مكناس، والثاني برتبة قبطان رئيسا لدائرة بولمان.

⁴ - و"نظرا لما يتصف به من نزاهة تامة فقد تصدى بقلبه وقالبه للعمل في أشغال تجديد المغرب، وبفضل عمله المتواصل ومقدرته الكبيرة وفق إلى تغيير وجه الأرض، والبلاد ومازال سكان لخصاص لم ينسوا هيكله الضخم ولحيته الكبيرة وأساليبه الصارمة ولكنها مطبوعة بطابع العطف الكبير والحنان وطيب النفس"، قصاصة من جريدة السعادة التي كانت تصدر بتطوان، "حول نعي الراحل اوجين ادرين ميكل" عدد ابريل 1955.

كما ساهم اوجين ادرين ميكل في ربط المنطقة بشبكة طرقية مهمة، مكنت من فك العزلة عن المنطقة، حيث قام بتعبيد الطريق الرئيسية الوطنية الأولى التي تربط اكاديريكلميم ثم اكادير بتندوف مروراً بلخصاص وبويزكارن عبر منحرجات تسدرمت واكني امغارن، كما قام بشق العديد من الطرق الثانوية والثلاثية والمسالك. وفي الجانب الصحي، فقد أشرف على بناء مستشفى ببويزكارن بالمواصفات الحديثة، يضم قسماً للطب العام وآخر للجراحة، يستقبل المرضى بكل الجنوب المغربي، ومجموعة من المستوصفات القروية ساهمت في القيام بحملات لتلقيح الأهالي ضد الأوبئة والأمراض المعدية وتقديم الإسعافات الأولية.⁵ وفي سنة 1952، نقل إلى منطقة زرهون، ثم أرسل إلى منطقة القبائل بالجزائر إثر اندلاع الثورة الجزائرية، فقتل بالولجة بولاية سطيف يوم الأحد 17 ابريل سنة 1955.

• ميشيل لوكس (1927-2018)

ولد ميشيل لوكس Michel Lux سنة 1927 بمدينة ميتس الفرنسية على الحدود الألمانية، تربى وترعرع داخل المدارس الكاثوليكية، وإبان اجتياح الجيوش الألمانية شمال فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، هاجر رفقة أبيه إلى مدينة تور، حيث استكمل دراسته وحصل على شهادة البكالوريا، ثم عزم على دراسة الحقوق، لكن ظروف الحرب دفعت به إلى الالتحاق بالمدرسة الحربية. ومنذ سنة 1945 اطلع على كتب تنتقد العالم المعاصر والمدنية الغربية، فبدأ البحث في الثقافات الشرقية، وتحركت بداخله مشاعر تجاه الديانة الإسلامية فاطلع على التصوف الإسلامي. وفي أواخر الأربعينيات من القرن العشرين التحق الضابط ميشيل لوكس بالخدمة بالمغرب حيث قضى سنتين بمدينة فاس، تعرف خلالها على المجتمع المغربي وتعلم مبادئ اللغة العربية، فعاد مرة أخرى إلى فرنسا ليلتحق بالجبهة الحربية بالهند الصينية والتي قضى بها سنتين. وفي سنة 1951 عاد إلى وطنه فاعتنق الإسلام عن طريق الزاوية العلوية التي كان يتردد عليها. ومكث بفرنسا حتى سنة 1954، ليعود إلى المغرب مرة ثانية وينخرط بسلك التدريس، منتقلاً بين عدة مدن، حيث قضى سنة بمدينة ارفود وثلاث سنوات بمدينة مولاي إدريس زرهون وتسع سنوات بمدينة بويزكارن، ما بين (1959 و 1967)، فجمع بين التدريس والإدارة في إعدادية محمد الشيخ السعدي ببويزكارن ما بين 1962 و 1967. وفي سنة 1965 حج بيت الله الحرام رفقة مولاي احمد ماء العينين. وانتقل إلى مدينة انزكان واشتغل بثانوية عبد الله بن ياسين بدءاً من سنة 1967 حيث اسندت إليه مهمة التفتيش التربوي للغة الفرنسية، ثم تقاعد واستقر

⁵ "ولقد مات مثل ما كان يعيش جندياً لا يسعى وراء شيء لفائدته ومصلحته الخاصة ويتصدى بكليته للقيام بأموريته إلى حد التضحية الكبرى"، جريدة السعادة مرجع سابق.

بالمزار ضواحي ايت ملول. وعند إحداث كلية الشريعة بايت ملول تطوع لتدريس اللغة الفرنسية لطلبتها⁶.

● فيليكس مورا: وكيل التوظيف بمناجم الفحم بفرنسا

ولد فيليكس مورا Félix Murat والمعروف محليا بـ"موغا"، يوم 28 غشت 1926، وهو ضابط فرنسي يتقن الدارجة المغربية وأغلب التنوعات اللغوية الأمازيغية بالجنوب المغربي. التحق "موغا" بالجندية سنة 1945 وأكمل ثلاث سنوات من الخدمة العسكرية مع فرقة جيش الكوم⁷، فعمل في البداية في الإدارة العسكرية في مدينة ليل، ثم التحق بأكادير لينخرط في مدرسة لتكوين "ضباط الشؤون الأهلية" من أجل الخدمة في البلاد الخاضعة للحماية، فدرس اللغة العربية وعلم الاجتماع الإسلامي، ليقرر البقاء في المغرب ضمن صفوف كتيبة "طابورس"، حيث كان يشرف على كتيبة تقوم بدوريات مراقبة الحدود بمشارف وادي درعة أقصى حدود الصحراء، لكنه لم يلبث كثيرا في الجندية، إذ استطاع أن يشق مساره نحو الشركات المصنعة للفحم سنة 1949 لحاجة شركة مناجم الفحم بفرنسا إلى عمال مغاربة، ليجد نفسه في الشمال الفرنسي بمنطقة "باد كاليه/ Pas de Calais" رئيسا لعمال مناجم الفحم سنة 1950، ثم اتجه صوب المغرب سنة 1956 في مهمته للبدء في عمليات التشغيل التي كانت تتم بموافقة من السلطات المغربية والفرنسية، كما أن "موغا" تعلم لغات وعادات البلد وصار بذلك وكيل التوظيف الأكثر شهرة في المنطقة⁸. وكان "موغا" يتمتع بصلاحية إصدار جوازات السفر الضرورية من

⁶ ترك محمد المهدي لويس سمعة طيبة بمنطقة بويكارن التي قضى بها تسع سنوات أستاذا ثم مديرا، حيث مازال الأهالي يتذكرون ركوبه لفرسه الأدهم، كما يتذكر الأساتذة ركوبه لدرجته النارية التي جال بها جبال الأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي أيام توليه التفتيش التربوي. وقد كان مجدا صارما متعاطفا مع الطبقات المعوزة من التلاميذ، وقد تخرج على يده بثانوية محمد الشيخ السعدي ذات النظام الداخلي عدد من الأطر العليا بالمغرب من أطباء ومهندسين ومحامين وأساتذة ... وللأستاذ ميشيل، الملقب بمحمد المهدي، مؤلف مخطوط أعده للطبع حول محطات من حياته وتجاربه ومذكراته، لكن المنية أدركته سنة 2018 دون أن يتحقق ذلك.

⁷ - الكوم les goumiers وحدات الدعم والإسناد المكونة من الأهالي في مستعمرات شمال أفريقيا. وهم كذلك الجنود المساعدين المغاربة الذين قامت الحماية الفرنسية بتشكيلهم ضمن وحدات وكثائب، أطلق عليها "طابورس - Tabors".

⁸ كان "موغا" يقوم بعمليات اختيار وجلب اليد العاملة النشيطة من هذه المناطق الفقيرة، لإدراكه المسبق باللياقة البدنية العالية لأناس الجنوب المغربي. وكان يأتي إلى المنطقة مرفوقا بزوجته ومعاونيه على متن سيارته الرمادية فيتصل بالسلطات المحلية من أجل تسهيل مهمته، فيتم إخبار السكان عن يوم مجيئه، فيحضر العمال في الزمان والمكان المتفق عليه، فيصطف الأهالي في طوابير حسب القبائل أمام كل صف أو طابور عون سلطة (شيخ)، وذلك في الهواء الطلق في ساحة قرب أحد المراكز الإدارية (بكل من كلميم و بويكارن و افران و تغجيجت ...) وصدورهم عارية، منتظرين دورهم، فيمرون الواحد تلو الآخر أمامه وهو جالس على كرسي أمام طاولة قابل للطي، يفحص بمعية الطبيب كل عامل فحصا أوليا بالعين المجردة ثم يوشر على صدره إما بالطابع الأخضر للمؤهل والمستوفي للشروط أو الأحمر للغير المؤهل والعائر الحظ، وكان يختار الشباب

• ليوبولد جيستنار (1878-1959)

استطاع ضابط الاستعلامات الفرنسية بتزنييت الكولونيل ليوبولد جيستنار، والمعروف بـ"القبطان الشلح"، توثيق الكثير من مظاهر تراث سوس الشفوي، منذ قدومه إلى مدينة تيزنييت مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وجمع ما يكفي من المعلومات حول القبائل المناوئة والمناطق غير الخاضعة للقوات الاستعمارية الفرنسية، ثم الإعداد لعملية التهدة التي أطلقتها سلطات الحماية الفرنسية، وساعده في مهامه إتقانه للهجة تاشلحيت، التي تعلمها في فاس إبان إشرافه على التكوين العسكري لطابور من جنود المولى عبد الحفيظ ينحدرون من سوس والأطلس الصغير، فقد استغل جيستينار هذا المعطى بشكل جيد للقيام بمهمته الاستخباراتية على أحسن وجه، حيث تقرب من السكان وجعل من تدوين التراث الشفهي هدفا لفهم ذهنية وعقلية هذه القبائل ونمط تفكيرها واهتماماتها وأسباب مقاومتها للمستعمر، ومعرفة التناقضات والصراعات القبلية القديمة واستثمارها في أي تحرك مستقبلي¹¹.

ويعتبر ليوبولد فيكتور جيستينار ضابطا ساميا اشتغل بمصلحة الاستعلامات والشؤون الأهلية التابعة لمصالح الإقامة الفرنسية بالمغرب، متخصصا في دراسة تاريخ سوس وتشلحيت. ومن خلال التواصل مع جنوده المنحدرين من مناطق سوس تمكن من تعلم لهجة تشلحيت حيث كان يجمع كل النصوص التراثية الشفوية المعروفة بمناطقهم من أشعار وحكايات وألغاز وأخبار وغير ذلك. وبتشجيع من رئيسه المباشر الجنرال كورو، وكذا من طرف المستمزرغ الفرنسي صمويل بيرناي، قام سنة 1914 بإصدار كتابه الأول الخاص بتعلم لهجة تشلحيت والموجه إلى ضباط الشؤون الأهلية على وجه التحديد بعنوان: "*Manuel de berbère marocain, dialecte chleuh*", شكل آنذاك كتابا فريدا من نوعه، مفيدا لضباط الشؤون الأهلية في تحقيق التواصل بينهم وبين الأهالي الأصليين¹². التحق جيستينار للعمل بالقيادة العامة للحملة الفرنسية ضد الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي بالريف ما بين 1925 و1926، وفي هذه الفترة ألف كتابا بعنوان: *Manuel de berbère marocain, le dialecte du Rif*، كما اشتغل بالشعبة السوسولوجية التابعة لمصالح الشؤون الأهلية بالرباط منذ سنة 1930 خلفا لـ"ميشو بلير" إلى غاية سنة 1937 تاريخ تقاعده، ليختار بعدها الاستقرار بمدينة سلا. توفي سنة 1959.

¹¹بدأ حياته العملية بعد تخرجه سنة 1899 ملازما في الجيش الفرنسي بمدينة قسنطينة الجزائرية ما بين 1902 و1911، وهناك تمكن من تعلم اللغة العربية بشقيها الدارج والفصح. وفي سنة 1911 أرسل للعمل بالمغرب مشرفا على التدريب والإعداد العسكريين لقوات المخزن الشريف التابعة للسلطان مولاي عبد الحفيظ.

¹²وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، التحق بالجهة وحارب إلى جانبه جنود مغاربة ينحدر معظمهم من منطقة سوس، حققوا بطولات حاسمة بفضل التواصل المثمن القائم بينهم وبين قائدهم. وباقتراح من المقيم العام الماريشال ليوطي سيشتغل "جيستنار" في قطاع الشؤون الأهلية حيث التحق للاشتغال بمكتب تيزنييت للعمل إلى جانب القائد المخزني الطيب الكندافي الذي وطد معه علاقة صداقة قوية وألف عنه كتابا بعنوان : *Un grand chef berbère : le caïd Goundafi*

ومن بين مؤلفات جيستينار يمكن ذكر ما يلي:

- Poèmes chleuhs recueillis en Sous, 1925.
- Notes d'histoire et de littérature berbères, 1925.
- Poésies en dialecte du Sous d'après un manuscrit arabico-berbère, 1928.
- Les Ait Ba Amran, 1930.
- La rihla du Marabout de Tasaft, sidi Mohamed ben el Hadj Brahim ez-Zerhouni, Texte arabe du XVIII siècle, 1940.
- Un petit royaume berbère, le Tazroualt, 1954.
- Un saint berbère, Sidi Ahmed Ou Moussa, 1951.

• فانسان مونتاي (1913-2005)

يعتبر الضابط الفرنسي "فانسان مونتاي" Monteil Vincent أحد المستشرقين الفرنسيين الذين كتبوا عن المغرب عامة والجنوب خاصة، بما في ذلك منطقة الأطلس الصغير. فهو ابن شارل مونتاي (1871-1949) القابض العام للمالية، من مواليد 27 مايو 1913 بفرنسا. تخرج من المدرسة العسكرية سان سير بالضاحية الباريسية عام 1935، ثم انتقل للخدمة في مكاتب الشؤون الأهلية في المغرب كضابط لفيلق الجمال "المهاريست"، وعمل بكل من مكتب تغجيجت ثم كلميم وبوجريف وأسا¹³. استطاع فانسان مونتاي أن يعتزل حياته العسكرية ويتفرغ لأبحاثه عن العالم العربي والإسلامي، من سنة 1959 إلى 1968، حيث عمل في المعهد الفرنسي لأفريقيا السوداء بكار بالسنغال، قبل أن يعين مستشارا ثقافيا في اندونيسيا (سنة 1969)¹⁴. وفي عام 1977 اعتنق الإسلام بمدينة نواكشوط الموريتانية وغير اسمه من فانسان إلى منصور وتوفي في باريس في 27 فبراير 2005. جمع ودون "فانسان مونتاي" كل ما رأيته عيناه وسمعته أذناه بكل المناطق التي زارها، فكتب عن التضاريس والغطاء النباتي والحيواني، وعن التجمعات السكانية وتقاليدها وقوانينها وتاريخها. وقد استطاع خلال فترة إقامته بالمنطقة، لمدة تجاوزت العشر سنوات، من تدوين الكثير عن المنطقة في كتيبات على شكل نقط و"تقييدات" وكتب ومقالات، نذكر من بينها ما يلي:

V. Monteil, « Les Juifs d'Ifran », Hespéris, 1948, 1-2^e trimestres.

¹³ وفي عام 1943 شارك في حملة تونس مع فيلق الكوم المغربية، ثم التحق بعد ذلك بفرنسا الحرة وشارك في حملة عسكرية، فأصيب بجروح خطيرة عام 1945، ثم عاد إلى المغرب لقضاء فترة نقاهة. وفي عام 1948 تم تعيينه مراقبا عسكريا في فلسطين، وملحقا عسكريا في سفارة فرنسا في إيران (1950-1952) ثم انضم إلى الكتيبة الفرنسية في كوريا (1953)، قبل أن ينأيه الواجب في فيتنام (1953-1954)، وتونس (1954) حيث شارك في صياغة اتفاقيات الاستقلال.

¹⁴ كما شغل مناصب مختلفة في بورما وألبانيا واليابان، ثم إيرلندا

V. Monteil, « Choses et gens du Bani », Hespéris, 1946.

V. Monteil, « Notes sur les Tekna », 1948, Paris, Editions Larose.

V. Monteil, « Notes sur les Ait Baamran », 1948, Paris, Ed. Larose.

• الفرد لوشاتولي (1855-1929)

ولد الضابط الفرنسي الفرد لوشاتولي Alfred Le Chatelier سنة 1855، وهو ابن مهندس المناجم الفرنسية لويس لوشاتولي وشقيق الفزيائي الشهير هنري لوشاتولي. تخرج من مدرسة سان سير الحربية عام 1874 وصار ضابطا، وهو أول من ترأس قسم السوسيوولوجيا الإسلامية ب"كوليج دو فرانس"¹⁵. وفي سنة 1902 صار رئيسا للسوسيوغرافيا الإسلامية بذات المؤسسة¹⁶. كما اشرف على مجلة العالم الإسلامي Revue du monde musulman سنة 1906، وتوفي بمدينة باريس بتاريخ 9 غشت 1929. ونذكر من بين مؤلفاته :

- Questions sahariennes : Touat, Châamba, Touareg. Mission dans le Sud Algérien en juin-août 1890, 161 p.

- Tribus du Sud-Ouest marocain, Paris, Leroux, 1891, 91 p.

- L'Islam dans l'Afrique occidentale, Paris, Steinheil, 1899, 376 p.

- Notes sur les villes et tribus du Maroc en 1890, Angers, 1902, 112 p.

- Mission scientifique du Maroc. Villes et tribus du Maroc. Casablanca et les Châouïa, Paris, 1915.

• روبرت مونتاني (1893-1954)

يعد روبرت مونتاني Robert Montagne من بين كبار المستشرقين والأنثروبولوجيين الفرنسيين¹⁷، وكان عالما متخصصا في المجتمعات الأمازيغية بشمال إفريقيا وبالمغرب خاصة، كما قام بدراسات اثنولوجية حول سكان المغرب. كما كان محاضرا في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط ما بين 1924 و1930، واستكمل دراسته فحصل على شهادة الدكتوراه سنة 1930 تخصص

¹⁵ شارك في عدة بعثات إلى إفريقيا وكان ضابطا للشؤون الأهلية في الجزائر ما بين 1876 و 1886 وكان أول ضابط فرنسي بمركز واركلة مابين 1883 و 1885. وقد ترأس لفترة شركة الدراسات والاستكشافات بالكونكو الفرنسية التي تخطط سنة 1893 إلى إنشاء قناة اتصال بين داخل وساحل الكونكو.

¹⁶ والتي سيتولى رئاستها لويس ماسينيون فيما بعد، وهو الذي أسس البعثة العلمية بالمغرب سنة 1904 والتي اتخذت طنجة مقرا لها.

¹⁷ كان روبرت مونتاني ضابطا سابقا في البحرية الفرنسية، و بعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918 استدعي إلى المغرب للعمل في المسح الطبوغرافي، واختاره المقيم العام الفرنسي بالمغرب المارشال ليوطي ليكون مستشارا له في كل ما يخص القضايا القبلية.

الأنثروبولوجيا السياسية¹⁸. كان روبرت مونتاني يقوم بالعديد من المهام الإدارية والعلمية، إذ ترأس العديد من المؤسسات الإدارية والعلمية مثل مكاتب الشؤون الأهلية والمعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق ومركز الدراسات العليا للإدارة الإسلامية التي أسسها في عام 1936 وسيرها حتى وفاته. كما تم تعيينه في عام 1948 بـ "كوليج دو فرانس"¹⁹. ومن بين مؤلفاته نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc, 1930, Paris, Félix Alcan.

- Villages et kasbas berbères, Tableau de la vie sociale des Berbères sédentaires dans le Sud du Maroc, 1930, Paris, Librairie Félix Alcan.

- Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, l'agadir des Ikounka, 1930, Paris, Librairie Larose.

- La civilisation du désert : nomades d'Orient et d'Afrique, 1947, Paris, Hachette.

- Naissance du prolétariat marocain, enquête collective exécutée de 1948 à 1950, 1952, Paris, Peyronnet.

• بول مارتي (1882-1938)

يعتبر ليوتون كولونيل بول مارتي Paul Marty أحد كبار الضباط والإداريين الاستعماريين الفرنسيين، ومن كبار المستشرقين الفرنسيين الملمين باللغة العربية، كما كان عالما كبيرا مهتما بإسلام إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. ولد بول مارتي في الجزائر بمنطقة بوفاريك في 6 يوليو 1882، وقد نشأ في أسرة ريفية كاثوليكية من الفلاحين البسطاء تنحدر من منطقة الألب الفرنسية، مما ساهم في تربيته على بساطة العيش والصبر والمثابرة في العمل. تعلم بالمدرسة الابتدائية كاستيليوني بالجزائر العاصمة، ثم واصل تعليمه الثانوي في المدرسة الثانوية سان أوجين بنفس المدينة، ثم التحق بكلية القانون بالجزائر واستكمل دراسته بها، كما اهتم بدراسة اللغة العربية. انخرط في الجندية كمتخرج عسكري في 9 نوفمبر 1901 والتحق بالفوج الأول للمشاة في جنوب تونس حيث قضى خمس سنوات ثم عين مديرا للشؤون الأهلية بالرباط في المغرب ما بين 1912 و 1921. وفي سنة 1930، غادر الرباط إلى تونس، ليلتحق بالقيادة العليا للموظفين بتونس. توفي بالمستشفى العسكري في تونس العاصمة بتاريخ 11 مارس 1938. ترك عدة مؤلفات مهمة نذكر منها:

¹⁸ نشر كتابه : البربر والمخزن في جنوب المغرب ضمن سلسلة أعمال دورية السنة السوسولوجية L'Année sociologique التي تعتبر مصدرا غنيا ومستمرًا للإنتاج العلمي حتى وفاة المؤلف.

¹⁹ توفي بتاريخ 26 نوفمبر 1954 في نويي سور سين.

- Les écoles maraboutiques du Sénégal : la médersa de Saint-Louis, Paris, E. Leroux, 1914, 106 p.
- La politique indigène du gouverneur général Ponty en Afrique occidentale française : in memoriam, Paris, E. Leroux, 1915, 28 p.
- Les tribus de la Haute Mauritanie, Paris, Comité de l'Afrique française, 1915, 92 p.
- Études sur l'Islam maure : Cheikh Sidia. Les Fadelia. Les Ida ou Ali, Paris, E. Leroux, 1916, 252 p.
- L'Émirat des Trarzas, Paris, E. Leroux, 1919, 483 p.
- Les touaregs de la Boucle du Niger (en collaboration avec Mangeot), Bulletin du Comité d'études historiques et scientifiques de l'Afrique occidentale française, n° 1, 2 et 3, 1918, p. 88-213.
- Études sur l'Islam et les tribus maures : les Brakna, Paris, E. Leroux, 1921, 398 p.
- Le Maroc de demain, Comité de l'Afrique française, Paris, 1925.
- L'orf des beni Mtir, Revue des études islamiques, 1928, p. 482-509.
- Les institutions israélites au Maroc, Revue des études islamiques, 1930, p. 297-332.
- La justice civile musulmane au Maroc, Revue des études islamiques, 1931, p. 343-538, 1933, p. 185-294.

خاتمة

حاولنا من خلال هذا المقال أن نستعرض سير أعلام فرنسية قدموا خدمات جليلة للبحث العلمي في المغرب، بصموا تاريخ الجنوب المغربي عامة والأطلس الصغير الغربي خاصة، وأن نبين أن دراسة الأعلام لا تقل أهمية من الدراسات التاريخية والاجتماعية واللسانية، فلا يمكن القيام بدراسة منطقة ما دون الالتفات إلى أعلامها البشرية والجغرافية. فبالرغم من التحولات التي طرأت على مناطق الجنوب المغربي منذ أكثر من نصف قرن، إلا أن أسماء هؤلاء الأعلام الفرنسيين ما زالت تتردد على الألسن، ذكرت في الأشعار والأمثال، ونسجت على بعضهم حكايات وأساطير.

المراجع

- أحمد الهاشمي، 2002، الأماكنية المغربية، نموذج : المشهد الطبيعي والبشري في اماكنية سوس، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف د. أحمد صابر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير.
- جامع بيضا، الأرشيف وكتابة تاريخ المغرب، أعمال الملتقى الثقافي الحادي عشر لصفرو، 19-21 مارس 1999، المنظم شراكة مع الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات المجلس البلدي لصفرو، العدد 10، 2000 .
- قصاصة من جريدة السعادة حول نعي الرائد اوجين ميكل، ابريل 1955.

Rachid Agrou, 2007, *Léopold Justinard, missionnaire de la tachelhit 1914-1954. Quarante ans d'études berbères*, Paris, Bouchène.

Marie Cegarra, 2000, « Mora le négrier », *Le Monde diplomatique*, p. 7.